ولا مسلطها لكن البسط والشجاعة الى حد لم يعرف عن احد وان عظم الرعب
مثل يوم احد ويوم حنين ولهذا اذا اشتد الباس اتقى الناس به والفصاحة التي
الكت مصاقع الخطباء من العرب العرباء خطيب مصقع اي بليغ والاصرار
على الدعوى مع ما يرى من المتاعب والمشاق كما قال عليه السلام ما اوذي
نبي مثل ما اوذيت وانه مع ذلك لم يظهر في عرصة فتور ولا في اصراره على الدعوى
كلال ولم يتغير عن المنهج الاول ومعلوم ان المزور لا يكون كذلك والترفع عن
الاغنياء والتواضع للفقراء لا يكون جزء لقوله جميع سير الا للانبياء
فان كل واحد من هذه الخصال وان فرضنا انها لا تدل على النبوة لكن
مجموعها مما يعلم قطعا انه لا يحصل الا للنبي وهذه طريقة اختارها الجاحظ
وارتضاها الغزالي في كتاب المعتقد قالت البراهمة لا حاجة الى بعثة الرسل
اذ كل ما حسنه العقل اي كل ما علم حسنه بالعقل فمقبول سواء ورد به شرع
او لم يرد وما قبحه فمردود وما توقف فيه اي لم يعلم العقل حسنه وقبحه
فيستحسن عند الحاجة ويستقبح عند الاستغناء عنه لما في العقول
ان ما يحتاج الانسان اليه ولم يظهر قبحه حسن وان ما يستغني الانسان
عنه ولم يظهر حسنه قبيح لانه اقدام على ما يحتمل الضرر من غير حاجة اصلا
فادى في العقل مندوحة اي سعة عن النبي قلنا انه مبني على الحسن والقبح
العقليين وقد سبق بطلانه مع انه لبعثة الرسل فوائد لا تحصى منها ان يعرف
الحجة فانها ان لم تكن معلومة عند الخلق ومعاندة ظاهرة وان كانت معلومة
فالفائدة تاكيد العقل بالنقل وبسط الشبهة التي تصعب فيها ورشد
ما توقف العقل فيه ولم يحكم بشيء ونفسه كمعرفة الاصوات وحال الجنة
والنار فينقطع عذر المكلف من كل الوجوه واليه اشار بقوله لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله
لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل
ونخزى ومنها ان يبين حسن ما يتوقف العقل فيه ولم يستقل بمعرفة
حسنه وقبحه كالنظر الى وجه العجوز الشوهاء والى وجه الامة

الحسناء فان العقل يتوقف في حسنه وقبحه وتفصيل ما حسنه اجمالا فان
العقل وان حسن اصل الطاعة لكن لا يعلم كنهها بمجرد العقل ومنها ان يعين
وظائف الطاعات والعبادات المذكرة للمعبود المكررة لاستحفاظ
التذكر كالصلوة وما يجري مجراها او غيرها كالزكوات وصلة الرحم والبر
الى الوالدين ومنها ان يشرع قواعد العدل المقيم لصور النوع كما علم
في الفصل الاول من هذا الباب ويعلم الصناعات الضرورية للناس
المتكملة لامر المعاش كالغزل والنسج والخياطة والبناء فان توقف
هذه الصناعات وامثالها على استخراجها بالتجربة والاتفاق من عظم
ومنها ان يعلم منافع الادوية وخصائص الكواكب الثابتة والسيارة
وادوارها التي لا يحصل العلم بها الا بتجربة متطاولة لا تفي بها الاعمار اذ
ذلك انما يحصل بتكرار الادوار وانضمام العقول متفاوتة والكمال في
والاستقلال على تقدير التسليم انما هو للعقل الكامل فلا بد من معلم
يعلمهم ويرشدهم على وجه يناسب عقولهم قالت اليهود لو كان محمد
نبيا لكان صادقا في جميع اقواله لكن التالي باطل لان من اقواله ان
شريعة موسى منسوخة وذلك باطل لانه لا يخلو اما ان يكون في شرع موسى
انه لا ينسخ او لا يكون فان كان لزم ان يتواتر ويشتهر كاصل دينه
لان كل واحد منهما من الامور العظيمة التي تتوفر الدواعي على نقلها والتالي
باطل بالاجماع وان لم يكن فان كان فيه ما يدل على دوامه امتنع نسخه
والا لزم الكذب على الله تعالى وان لم يكن في شرعه لا ما يدل على النسخ ولا ما
دل على الدوام يلزم تكرر شرعه فلم يثبت غير مرة لان الامر المطلق
لا يفيد وجوب الفعل الا مرة لكن شرع موسى ليس كذلك لان التكاليف
المثبتة في شرعه كانت متوجهة على الخلق الى زمن عيسى عليه السلام فبالاتفاق
نعلم ان شريعة موسى غير منسوخة ولا يثبت نبوة محمد عليه السلام قلنا
كان فيه ما يشعر بنسخه ولم يتواتر اذ لم تتوفر الدواعي في نقله
بوقوعها الى نقل اصل دينه او كان فيه ما يدل على الدوام ظاهرا لا قطعا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)